«أهذا هو ابن الله؟»

«أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ».
فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ هذَا الْقَوْلَ ازْدَادَ خَوْفًا» (يوحنا ١٩: ٧ و٨).

بقلم: ادي كلور

في المرحلة الأخيرة من محاكمات يسوع وجد بيلاطس نفسه محاصراً بين قوتين عظيمتين. أجبرته كرامته بصفته مسؤول روماني على أصدار حكماً عادلاً لهذا المحبوس البريء. ولكنه كمسؤول سياسي كانت سمعته تتأثر بالمواقف السيئة التي اتخذها في الماضي، اعتزم أن يتجنب (بأي ثمن) حدوث أعمال شغب في أورشليم. جذبه حبل الضمير في اتجاه واحد، وجذبه في الاتجاه الآخر حبل الملائمة السياسية. كان كلا الحبلان قويان، ولكن غير متساويا القوة. كان ضغط اليهود عليه لكي يرضخ لإرادتهم هو الأقوى. وإذ كانوا منقادين بالبغض صاحوا أن يُصلب (وسيفعلون أي شيء لتحقيق ذلك). وضعوا بيلاطس في ركن وسيحاولون الإبقاء به هناك حتى يحصلوا على ما يريدون.

مع أن بيلاطس كان مقتنعاً ببراءة يسوع، إلا أن خوفه أمام مطالبات رؤساء الكهنة جعل المحاكمة تخرج عن سيطرته. كان قد أعطاهم الحكم في بداية المحاكمة؛ ولكنهم لم يقبلوا بذلك الحكم؛ وكان قد أرسل يسوع إلى هيرودس الذي كان رئيس الربع على الجليل طلباً للمساعدة منه؛ ولكن هيردوس أعاده إليه مرة أخرى دون أن يصدر أي حكم عليه وبدون توصية منه عما يفعل به. وأخيراً حاول بيلاطس اللجوء إلى عادة كان يتم العمل بها في عيد الفصح متمنياً أن يجعل الجمع يطلبون اطلاق سراح يسوع، ولكن الجمع اختار باراباس بدلاً من يسوع. والآن لم يبقى لبيلاطس خياراً (يوحنا ١٩: ١).

أصدر بيلاطس أمراً لضرب يسوع بالسياط، ربما فعل ذلك كمحاولة أخيرة منه لإطلاق سراحه (يوحنا ١٩: ١). ربما ظن بانه اليهود سيكتفون عندما يروا يسوع مضروباً ومهانا. كان الجلد بالسياط أقرب شيء إلى الموت. كان الجلد من قبل الرومان يضع أقوى الناس بين الحياة والموت. ربما ظن بيلاطس أيضاً أن اليهود قد يعتبرون هذا الضرب كمقدمة للصلب فيسكتوا لأنهم على وشك أن يحصلوا على ما كانوا يريدون.

بعد ضرب يسوع بالسياط وإذلاله بالإستهزاء به (يوحنا ١٩: ١-٣)، قام بيلاطس بمحاولة أخرى لإطلاق سراحه. يقول النص: «فَخَرَجَ بِيلاَطُسُ أَيْضًا خَارِجًا وَقَالَ لَهُمْ: هَا أَنَا أُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً. فَخَرَجَ يَسُوعُ خَارِجًا وَهُوَ حَامِلٌ إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَثَوْبَ الأُرْجُوانِ. فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ:هُوَذَا الإِنْسَانُ!» (يوحنا ١٩: ٤ و٥).

إذ عرف بيلاطس تمام المعرفة انه قد ذهب إلى حد لا رجعة منه، وربما لم يبق هناك مخرج بل يسلم يسوع إلى رغباتهم {الشريرة}، طلب منهم أن ينظروا إلى الشخصية المثيرة للشفقة التي يريدون صلبها. وقف يسوع أمامهم ملطخ بالدماء نتيجة للضرب بالسياط. كتفيه متهدلتين بثوب الأرجوان الذي البسوه اياه بغرض للإستهزاء به، ورأسه متوج بإكليل الوحشية. لا بد أن بيلاطس ظن أن المشتكون على يسوع سيقولون: «لقد ذللناه الآن وضربناه وأظهرنا جريمته علناً، كفانا هذا، يمكنك أن تطلق سراحه بعد هذا». ولكن العكس كان صحيحا؛ إذ كان رؤساء الكهنة قد صمموا على قتله، صاحوا قائلين: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» وإذ يأس بيلاطس، قال لهم: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ، لأَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً» (يوحنا ١٩: ٦). فصرخ الكهنة بغضب: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ» يوحنا ١٩: ٧).

ما أعلنه رؤساء الكهنة بحق يسوع جعل بيلاطس يتضايق. الفكرة القائلة أن يسوع قال انه ابن الله جعلته

يرتعب. يقول النص: «فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ هذَا الْقَوْلَ ازْدَادَ خَوْفًا» (يوحنا ١٩: ٨). امتلك الخوف فكره وجعله يرتعد إرتعاداً، وذكره بما قد رآه في يسوع. لقد أوضح كلام اليهود لبيلاطس الشخصية غير العادية لمن يقال له يسوع الذي كان قد وقف أمامه، الذليل والملطخ بالدم والذي ألبسوه ثياب الازدراء. كان يسوع قد تحدث إلى بيلاطس كما لم يتحدث إليه أحد هكذا من قبل؛ كانت حياته بلا شائبة؛ حتى صمته لم يقل من العظمة. كانت تهمة اليهود له بانه ابن الله بها شيء من الحقيقة. ربما فكر بيلاطس في نفسه: «إذا كان كلامه صحيح، كيف تكون مضامينه لهذه المحاكمة ولي؟» التفكير بهذه الاحتمالات وحدها ملأ عقله بالخوف.

في هذه اللحظة من المحاكمة واجه بيلاطس ثلاث حقائق عن يسوع. عندما نقرأ عن مواجهته لهذه الحقائق يذكرنا الروح القدس (بواسطة الأسفار المقدسة) باننا نواجه نحن هذه الحقائق أيضاً. تعلن محاكمات الرب هذه الحقائقايضاً لجميع الذين يقرؤون الكتاب المقدس.

الحقيقة الأولى هي أن يسوع يضع نفسه عادة في أيادينا. يسمح لنا بالوقوف جانباً ويجعل الآخرين يعملون له أسوأ ما يستطيعون عمله. إذا كان يسوع قد ذُلل بسبب تقاعسنا، فيكون هو الذي سمح بحدوث ذلك. سيقف أمامنا صامتاً بينما نسمح بإدانة دعواه. هو المسيح القدير، ولا شك في ذلك؛ ولكنه أعطانا في هذا العالم على الأقل سلطان عليه إلى حد ما. انه يريد أن يعطينا الحرية، وتأتي عطية حرية الخيار بخطر كبير.

لقد جعلنا نملك حرية الإختيار. انه يعلمنا وينتظرنا ويشجعنا؛ ولكنه لا يجبرنا على اعطاء أنفسنا لما هو قويم. لا بد أن نرى الحاجة إلى ذلك، ونضحي من أجل ذلك، وندخل من خلال الأبواب التي تفتح من أجل ذلك. لماذا سمح يسوع لبيلاطس ولرؤساء الكهنة وللجمع أن يقرروا مصيره؟ تكمن الإجابة بين رغبته في تقديم الخلاص لنا وبين رغبته بإعطائنا الحرية البشرية.

الحقيقة الثانية هي انه ينبغي أن ينظر الى يسوع على انه ابن الله. لا يسمح لنا أبداً في سجلات الإنجيل أن نصفه بانه إنسان فقط. لقد أخذ على نفسه الطبيعة الإنسانية بكاملها، ولكنه كان أيضاً الله في الجسد. كانت طبيعته الإلهية قد أُعلِن عنها عند ميلاده وعند معموديته وعند تجليه وعند محاكماته. تعلن معجزاته التي لا تُنْكَر وموعظاته الكاملة وسلوكه الفريد وعلمه السابق الذي لا مثيل له كلها توضح ماهيته.

لم يستطع بيلاطس ولا اليهود أن يشهدوا ويشاركوا في هذه المحاكمة دون أن يواجهوا ألوهية المسيح. لقد أعلن يسوع عن ألوهيته وأثبتتها أعماله. كلما كان للشخص شركة مع يسوع، كلما واجه ألوهيته.

تحدث آخرون عن الحق، أما يسوع فأظهر انه هو الحق. لم يتصرف أبداً بطريقة تتنافى مع شخصه. لقد لاحظ بيلاطس إلى حدٍ ما من كان يسوع؛ ولكن ضعفه منعه من عمل أي شيء بخصوص هذا. نحن نريد الحق (ولكن عندما نجده) هل نعرف ماذا نعمل به؟

الحقيقة الثالثة هي انه لا شيء يأتي بالتوقير والخوف في عقولنا من كون أن يسوع هو ابن الله. لا عجب أن بيلاطس خاف! كانت المحاكمة التي رأسها بيلاطس كارثة. لقد تم الإساءة إلى يسوع بكل طريقة يمكن تصورها. لم يعرف بيلاطس المأزق الذي كان فيه إلا عند المحاكمة. إذا كان هذا الإنسان الذي حاكمه هو بالحقيقة ابن الله، فسيصوره التاريخ كأسوأ والي عرفه التاريخ على الاطلاق، وسيقال عنه انه ارتكب أسوأ خطأ قد يرتكبه الشخص. أيمكن أن نتصور أي مسؤول كبير يسيء إلى الله؟ فكر في هذا! عندما أتيحت لبيلاطس الفرصة أن يتعامل بعدل مع الله الذي خلقه، سمح للإشرار بان يستهزأوا به ويعذبوه! ما الذي سيقوله بيلاطس عندما يقف أمام يسوع في يوم الدين؟

قبل أن نترك هذ النص، لنتذكر انه من وجهة نظر ما، اننا نقف بجانب بيلاطس، ويسوع أمامنا. يضع نفسه في أيادينا، ويسمح لنا بان نعمل به ما شئنا. نعرف من الأسفار المقدسة انه المسيح القدير ابن الله. هذه الحقيقة عن ألوهيته إما تجعل الخوف يغمرنا أم تجعلنا نرتمى على وجوهنا سجوداً له. انه ليس إنسان كامل يجب أن نكرمه فحسب؛ ولا هو سوبرمان {الرجل الخارق القوة} يجب أن نقف في رهبة منه، بل هو «الله الإنسان» الذي يجب أن نكرمه ونوقره ونمجده بصفته الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس.

❖-❖-❖-❖-❖

الكائن الأزلي العالم بكل شيء والذي خلق الكونصار ليس إنساناً فحسب، بل (قبل كذلك)

طفلاً، (وقبل ذلك أيضاً) جنيناً في بطن امرأة. إذا أردت أن تفهم تنازله ليعيش كإنسان، فكر كم تريد أن تصير ما لا قيمة له.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩